خطوات عمر من الظلمات إلى النور

إســـــلام عمــر

كان إسلام عمر فتحاً

من هنا كانت البداية !!

قال الراوى : حينما بُعث الرسول ﷺ حملت له قريش العداوة ، وراحوا يقضون أمام رسالته بكل سبيل !!

وسار عمر فى دربهم ، بل حمَل العِبء الأكبر من العداوة الصريحة ، وظاهرَه فى ذلك أبو جهل ؛ وكان لشدة مِراسهما ومكانتهما المنيعة فى قريش ما دعا الرسول عليه الصلاة والسلام أن يقول :

« **اللهم أعزّ الإسلام بأحب الرجلين إليك : عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام** » يعنى أبا جهل . (أخرجه أحمد فى مسنده) وصححه ابن حبان .

واستجيبت دعوة الرسول ﷺ فى أحب الرجلين إلى الله وأسلم عمر بن الخطاب فى ذى الحجة لست سنين من البعثة ، وبإسلامهُ أتمّ عدة أربعين رجلا مسلما ، ومعهم ثلاث وعشرون امرأة ، وعمره إذْ ذاك ستة وعشرون عاما .

فكان إسلامه فتحاً وهجرته نصرا ، وإمارته رحمة ؛ وروى عن ابن عباس أنه قال : لما أسلم عمر ، قال المشركون : قد انتصف القوم مِنّا ، وأنزل الله : ﴿ **يأيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين** ﴾ [الأنفال : ٦٤] فكيف دخل الإيمان قلبه ؟

كيف وقع الإسلام فى قلبه ؟!

قال الراوى *:

عن شُرَيْح بن عبد الله قال عمر بن الخطاب – رضوان الله عليه – خرجت أتعرض رسول الله ﷺ قبل أن أسلم ، فوجدته قد سبقنى إلى المسجد ، فقمت خلفه ، فاستفتح «**سورة الحاقّة**» ، فجعلت أتعجب من تأليف القرآن . قال : فقلت : والله هذا شاعر – كما قالت قريش .

---

* ابن الجوزى .

قال : فقرأ : ﴿ **إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون** ﴾ [٤٠ - ٤١].

قال : قلت : كاهن ، قال : ﴿ **ولا بقول كاهن قليلًا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين ...** ﴾ [٤٢ - ٤٧] إلى آخر السورة قال : فوقع الإسلام فى قلبى !

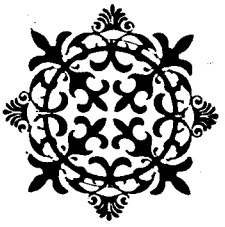

على الطريق ..

قال الراوى : ومرت أيام .. لم يعلن فيها عمر إسلامه .. فإن كل شيء بقضاء !! ولم تحل الهداية بعد فى قلبه !

وإذا حلت الهداية قلباً نشطت للعبادة الأعضاء !!

يتحدث « ناصر الدين دينيه » فى كتابه محمد رسول الله عن إسلام عمر فيقول :

أقنع الكفار عمر – وكان جافًا غليظا إذْ ذاك – بأن فى القضاء على محمد إنقاذا لوطنه ، فتقلد عمر سيفه واتجه – يتطاير الشر من عينيه – نحو « الصفا » حيث يعتقد وجود الرسول ﷺ .

وبينما هو سائر فى طريقه إذ لقيه نُعَيم الذى كان يُسِرّ إسلامه فَرَقا[1] من قومه ، فقال له :

– أين تريد يا عمر ؟

– أريد محمدا ، هذا الذى فرّق أمَر قريش ، وحقِّ آلِهَتِنا سوف لا أهدأ حتى أقتله !

فقال له نُعَيم :

– لقد غرتك نفسك يا عمر ؛ أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض ، وقد قتلت محمدا ؟ ثم أضاف – ليحوله عن مشروعه البشع : أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتُقيم أمرَهم ؟!

قال : وأى أهل بيتى ؟

– أختك فاطمة ، وزوجها سعيد بن زيد ، فقد أسلما !

عند هذا اتجه غضب عمر وجهة أخرى ، وعدا مسرعا نحو مسكن أخته فاطمة ، وكان فيه حينما وصل عمر ، المسلم المتحمس « خَبّاب » ، ومعه صحيفة فيها « سورة طه » يُقرِئها إياها وزوجها ، فلما سمع دقّ عمر القوى على الباب ، لجأ خبّاب إلى حجرة

---

(١) فَرَقا : خوفا ورعبا .

مجاورة ، وأخفت فاطمة الصحيفة تحت ردائها .

سمع عمر – حينما دنا إلى البيت – قراءة خباب عليهما ، فلما دخل قال فى صوت خشن :

ما هذه الهينمة[1] التى سمعت ؟

قالا له : ما سمعت شيئا !

قال : بلى . لقد أُخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه ، ثم لم ينتظر إجابة أو شرحا ، بل هجم على ختَنه[2]، وطرحه أرضا ، وجلس على صدره آخذا بلحيته ، فألقت فاطمة بنفسها على أخيها ، وقامت بمجهود يائس لتكفّه عن زوجها ، وصاحت : « نعم أسلمنا ، وما علمتَه حق » !!

عند ذلك طار صواب عمر ، ولم يتمالك أن لطمها – فى غِلظة – على وجهها فشجّه[3]، فانقلبت فاطمة الشجاعة غرقى فى دمها ، بيْد أنها لم تهن ولم تضعف ، بل استمرت تمد إليه يدها وتكرر : « نعم ، لقد أسلمنا يا عدوّ الله ، نعم آمنا بالله ورسوله ، فاصنع بنا ما تريد » !!

فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ، وأثرت فى نفسه شجاعتها التى لا تقهر مع أنها ضعيفة ، خجل مما صنع ، وطلب فى صوت أُشرِبَ بالوداعة :

« أعطينى هذه الصحيفة التى سمعتكم تقرءون آنفًا ، أنظر ما هذا الذى جاء به محمد ؟ » !

فقالت له أخته : « إنا نخشاك عليها » !

فقال : « لا تخافى » .

وحلف لها بآلهته ليردّنها ، إذا قرأها إليها .

ورغم أن فاطمة طمعت فى إسلامه ، فإنها اعترضت قائلة : يا أخى ، إنك نجس على شِرْكك ، وإنه لا يَمَسُّها إلا طاهر . قام عمر – فى وداعة – واغتسل ، فأعطته الصحيفة التى بها « سورة طه » والتى تبدأ :

---

(١) الهينمة : صوت كلام لا يفهم .

(٢) ختَنه : صهره وزوج أخته .

(٣) شجه : جرحه .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ طه . ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى . إلا تذكرة لمن يخشى ﴾ [طه : ١ - ٣] .

وما إن قرأ عمر الآيات الأولى - وكان كاتبا بليغا - حتى قال : « ما أحسنَ هذا الكلامَ وأكرمه !! » .

فلما سمع ذلك خباب خرج إليه فقال له :

« يا عمر ، والله إنى لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه ، فإنى سمعته أمس وهو يقول :

« اللهمّ أيّد الإسلام بأبى الحكم بن هشام ، أو بعمر بن الخطاب » فقال له - عند ذلك - عمر :

« سِرْ بى إلى محمد ؛ فإنى أريد أن أعتنق الإسلام ، أين هو ؟ » .

فهداه خباب مستبشرا متهللا إلى بيت الأرقم عند الصفا . بينما أصحاب رسول الله ﷺ يُصغون إلى كلامه ؛ فتتشربه أرواحهم ، إذا بالباب يدق دقًّا عنيفًا ، فقام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فنظر من خلل الباب ، فرأى الفارس الرهيب متوشى سيفه ، فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فزع يُخبره الخبر ، فقال الرسول ﷺ وهو هادىء مطمئن :

« إيذن له ، فإن كان يريد خيرا بذلنا له ، وإن كان يريد شرا قتلناه بسيفه » .

امتثل الصحابى أمره ، ودخل عُمَر ، فنهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه فى الحجرة ، فأخذ بُحْجزته[1]، ثم جبذه جبذةً شديدة وقال : **« ما جاء بك يا بن الخطّاب ؟ فوالله ما أرى أن تنتهى حتى يُنزلَ اللهُ بك قارعة »** .

فقال عمر - فى تواضع ليس من عادته - :

« يا رسول الله جئتك لأومن بالله وبرسوله ، وبما جاء من عند الله » .

لم يكن عمر بالرجل الذى يصبر ويُسيِّر إسلامه ، فما إن وصل إلى الطريق حتى أوقف أولَ مارّ به - وكان جميل بن مَعْمَر الجمحى - وقال له : « أعَلِمْتَ يا جميل

(١) بحجزته : بمجمع ثيابه ، وجبذه أى جذبه وهما بمعنى .

أنى أسلمت ، ودخلت فى دين محمد ؟! » .

وكان جميل ثرثارًا بطبيعته ، فما إن سمع كلام عمر حتى جرّ رداءه وعَدَا ، حتى إذا كان بباب الكعبة صرخ بأعلى صوته :

« يا معشرَ قريش ، أتينكم بنبأ مُريع !! إن ابن الخطاب قد صبأ » .

فقال عمر – وكان يتبعه – :

« كذبت ، ولكنى قد أسلمت ، وشهدت أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله » .

عند ذلك ثار القرشيون ثورة عنيفة ، وهجموا على عمر ، فاستقبلهم ثابت الجنان ، وما برح يقاتلهم ويقاتلونه ، حتى قامت الشمس على رءوسهم ، فاضطر المحاربون إلى هدنة قصيرة المدى ، فقعد عمر ، وقام أعداؤه على رأسه ، فقال لهم – فى إحتقار وشمم :

« إفعلوا ما بدا لكم فأحلف بالله أن لو كنا ثلثمائة رجل فقط لأنزلناكم عن الكعبة ، ولما وجدتم فيما بعد إلى إستردادها من سبيل » .

فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حُلّة حبرة[1]، وقميص مُوَشّى[2]، حتى وقف عليهم فقال :

« ما شأنكم ؟ » . قالوا :

« صبأ عمر » . فقال :

« فمَهْ[3]؟ رجل اختار لنفسه أمرا ، فماذا تُريدون ؟ أترون بنى عدى بن كعب يسلمون لكم صاحبكم هكذا ؟ » ؛ فتخلّوا عنه خوفاً من الثأر ، لا اتباعا لمنطق العقل ، ولكأنّهم كانوا ثوبًا كُشِط عنه .

كان رسول الله ﷺ – وحده هو الذى يجرؤ على الصلاة فى الكعبة علنا ، فلما أسلم عمر ، عزم على محاكاته فى ذلك ، فكان يذهب كل يوم إلى الكعبة ، ويقف كما

---

(١) ضرب من ثياب اليمن .

(٢) مُوَشّى : مطرّز .

(٣) مَهْ : كُفّوا .

يقف رسول الله ﷺ بين الركن الذى به الحجر الأسود ، والركن الذى يتجه نحو اليمين . وكان يصلى متجها إلى بيت المقدس ، مثل رسول الله ﷺ .

شجع ذلك كثيراً من المسلمين ، فجاءوا يصلون بجواره تحت سمع المشركين وبصرهم ، وحالت هيبة عمر ، الذى استحق بجدارة لقب الفاروق – دون البطش بهم !

ليس عجيبا أن يقول ابن مسعود فيما تحدث عنه الرواة :

كان إسلام عمر فتحا !

نعم كان فتحا حقا ؛ لأنه أتاح للمسلمين أن يُعْلنُوا دينَهم ، وأن يُصَلّوا أمام الملأ من قريش وهم آمنون .

عمر يُرَجّح كِفّةَ المسلمين :

وكان المسلمون فى بدء إسلامهم يتعرضون لألوان من القسوة والتعذيب من أعداء الله حتى إذا أسلم عمر صاروا أعزة ..

قال ابن عباس : لما أسلم عمر – رضى الله عنه – قال المشركون : انتصَف القومُ منا !!

قال الراوى : وبعد أن أسلم عمر قال : فقلت : يا رسول الله ، ألسنا على الحق إن مِتْنا وإن حَيِينا ؟ قال : بلى . والذى نفسى بيده إنكم على الحق إن مِتّم وإن حييتم .

قلت : ففيم الاختفاء ؟! ، والذى بعثك بالحق لتخرجن ، فأخرجناه فى صفين : حمزة فى أحدهما ، وأنا فى الآخر له كَدِيدٌ ككديد الطحين ، حتى دخلنا المسجد .

قال : فنظَرَتْ إلىّ قريش ، وإلى حمزة ، فأصابتهم كآبة لم يُصِبْهم مثلها ، فسمانى رسول الله ﷺ الفاروق »[1].

لقد فرق بين الحق والباطل .. بين الإيمان والشرك .. بين الذّلة والضعف .. بين الاختفاء والعلانية .

كانت الدنيا ظلاما حولـه وهو يهدى بخطاه الجائرينا

---

(١) قال فى النهاية بعد أن ساق الحديث . الكديد : التراب الناعم ، فإذا وطىء ثار غباره ، وهو فعيل بمعنى مفعُول . والطحين : المطحون المدقوق .

وهكذا كان إسلامُه فتحا !

وبعد .. فلقد كان السلف الصالح – رحمهم الله – يعلمون أولادهم حُبّ أبي بكر وعمر – رضوان الله عليهما – كما يعلمون السورة من القرآن .

ومن هذا المنطلق رحت أدعوك وأسرتك إلى لقاء كريم تطيب به لَيَالِيكُم ، وتَنْعَمُ أرواحُكُم بصحبة مَنْ بَشّره الرسول ﷺ بالجنة ..

ومن قال له النبى ﷺ : « **يا أَخِى أَشْرِكْنَا مَعَك فى دعائك** »*.

ومن نزل القرآن بموافقته فى أكثر من موضع*.

ومن قال عنه النبى ﷺ « **عمر بن الخطاب سراج الجنة** »*.

ومن « جعل الله الحقَّ على لسانه وقلبه »*.

ومن شهد له الرسول ﷺ بأنه لا يحب الباطل*.

ومن كان أشدّ أُمّةِ محمدٍ ﷺ فى أمرِ الله*.

ومَنْ رضاه عِزّ وغضبُه حكم*.

ومن يَغْضَبُ اللهُ إذا غضب*.

ومن قال فيه النبى ﷺ : « **لو كان بعدى نبى لكان عمر** »*.

من حدّث جبريلُ النبى ﷺ بفضائله فى السماء*.

ومن لو وضع فى كفة وجيء بجميع الأمة فى كفة رجحت كفته*.

* كل ما أشير إليه من فضائل عمر نصت عليها أحاديث ذكرها ابن الجوزى فى سيرة عمر

رضى الله عنه وأرضاه !!

يقول المسعودى فى مُرُوجِه :

وكان متواضعا ، خشن الملبس ، شديدا فى ذات الله ، واتبعه عمّالُه فى سائر أفعاله وشِيَمِه وأخلاقه ، كلٌّ يتشبه به ممن غاب أو حضر .

وكان يلبَس الجُبّةَ الصوفَ المرَقّعَة بالأديم[1] وغيره ، ويشتمل بالعباءة ، ويحمل القِربةَ على كتفِه مع هيبةٍ قد رُزِقها .

وكان أكثر رِكابه الإبل ، ورَحْلُه مشدود بالليف ، وكذلك عماله مع ما فتح الله عليهم من البلاد ، وأوسعهم من الأموال .

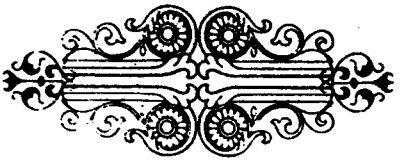

(١) الجلد .